

الشَّوِّرِيُّونَ

٣٦

# السُّنَّةُ وَالْبَدْعَةُ

لشِّيخِ الْإِسْلَامِ: مُحَمَّدِ الْخَضْرِ حَسَنِ

تقديم و تحرير

د / محمد عمارنة

# السُّلْطَانُ وَالْبَدْعَةُ

لشیخ الإسلام: محمد الخضر حسين

تقديم وتحقيق

د. محمد عمار





السنة والبدعة لشيخ الإسلام: محمد الخضر حسين  
تقديم وتحقيق د. محمد عماره

يونيه ١٩٩٩

٥٩١٣ / ١٩٩٩ م .

I. S. B. N 977 - 14 - 0948 - 4

دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .  
٨. المنطقه الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت: ٢٢٠٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس: ١١/٢٢٠٢٩٦ .

١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥

فاكس: ٢/٥٩٠٢٣٩٥ . ص.ب: ٩٦ الفجالة .

٢١ ش أحمد عرابى - الممهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٢/٣٤٧٧٢٨٦٤

فاكس: ٢/٣٤٦٢٥٧٦ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

**اسم الكتاب**

**اسم المؤلف**

**تاريخ النشر**

**رقم الإيداع**

**الترقيم الدولي**

**الناشر**

**المؤلف الرئيسي**

**مركز التوزيع**

**ادارة النشر**

## ٠٠٠ تقديم

سبحان الله العظيم !

لقد أنعم الله ، سبحانه وتعالى ، على هذه الأمة عندما جعل وسطيتها إرادة إلهية وجعلها ربانيا ، وليس مجرد خيار إنساني لما هو مباح من الأمور ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطَا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١).

وتميزت هذه الوسطية ، في النسق الفكري الإسلامي ، بأنها العدل المتوازن ، والتوزن العادل ، التي تبرأ من غلو الإفراط التفريط ، فهي تجمع من طرفى الغلو عناصر الحق ومكونات العدل ، لتكون هذه الوسطية الإسلامية الجامحة ، موقفا ثالثا ، هو اعتدال بين تطرفين ، وتوازن بين خللتين ، وعدل بين ظلمين وحق بين باطلين ، وهو المعنى الذي أصاب لبه حديث رسول الله ، ﷺ ، الذي عرف فيه هذه الوسطية عندما قال : «الوسط : العدل ، جعلناكم أمة وسطا» (٢).

فالوسطية ، في الفكر والسلوك ، هي منظار الرؤية الإسلامية لكل شئون الدين والدنيا .. والغلو - بطرفيه - هو سبيل المتنكرين سبيل المؤمنين بالإسلام ! ..

(٢) رواه الإمام أحمد.

(١) البقرة: ١٤٣.

ولقد كان - ولا يزال - هذا الحال هو حال الناظرين والمعاملين مع سنة رسول الله ، ﷺ .. ضل منهم أولئك الذين غالوا في تعاملهم مع مأثورات السنة ومروياتها ، إفراطاً أو تفريطًا .. واهتدى الذين اتخذوا منها الموقف الوسطى ، المتم بالتوزن والعدل .. والاعتدال ..

لقد تميزت النظرة الأصولية الوسطية للسنة النبوية بالتمييز ، في مرويات هذه السنة وما ثوراتها ، بين الأحاديث المسوارة وبين أحاديث الأحاديث .. والتمييز في كتب السنة بين الصحاح التي وضع جامعوها شرطها للصحة رفعت من درجات الاطمئنان للمرويات ، وبين تلك الكتب التي جمع أصحابها كل المرويات ، تاركين التدقيق والفرز للعقل الناقد ، وفق قواعد علم الجرح والتعديل للرواية ولمتون ومصادر المرويات ..

والتمييز في مصادر المرويات بين «العقائد» - التي لا بد منأخذها عن النصوص قطعية الثبوت - وبين «الأمور العملية» التي تحولت إلى «واقع» مارسه الناس - والتي يمكن - لذلك - أخذها عن أحاديث الأحاديث ، خطيئة الثبوت ..

كذلك ، ميز هذا المنهاج الوسطى - في التعامل مع السنة النبوية - بين :

- السنة النبوية ، التي جاءت بياناً نبوياً للبلاغ القرآني ، والتي هي ، لذلك ، دين ثابت ، اكتسبت وضع الدين الإلهي من مجدها بياناً للوضع الإلهي - أي الدين - ..

- وسنة العبادة ، التي جاءت تفضيلاً لحمل القرآن الكريم ، وتجسيداً للمناسك والشعائر التي تمثل طاعة العباد للمعبود ، وأيات إسلام المسلمين الوجه لله .. والتي هي ، لذلك ، دين خالد ، ومطلق ديني ، لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، ولا تغيير لها ولا تبدل ، مهما تغير الزمان أو اختلف المكان ، أو تبدلت العادات والأعراف ..

- والسنة الشرعية ، التي مثلت أحكاماً جاءت بها الأحاديث النبوية في المعاملات الدينية التوابيت ، المرتبطة بنظامية القيم الثابتة ، وبالفطرة الإنسانية السوية ، التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان ..

ميز المنهاج الإسلامي الوسطى بين أنواع السنة هذه - التي هي دين مطلق وخالد - لأنها البيان النبوي للبلاغ القرآني - الذي هو جماع الدين .. وديوان الوضع الإلهي - وبين ألوان من السنة النبوية ، مثلتها أحاديث تعلقت بـ :

- سنة العادة ، التي فعلها أو تركها رسول الله ﷺ لعادات وأعراف اجتماعية بيئية .. أو بحيلة إنسانية .. أو لحب أو كره في مقومات حياته كإنسان ..

- والسنة غير الشرعية ، التي هارسها رسول الله ﷺ في نطاق الاجتهاد - غير المعموم - في المتغيرات الدينية ، المعللة بحكم ومقاصد تتغير بتغير الوسائل الحقيقة لهذه الحكم وهذه المقاصد .. والتي تتعلق أساساً بالسياسات والمعاملات في التفاصيل والفروع - أي في الفقهيات - ..

- والسنّة التي مثلت خصوصيات لرسول الله ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتي نص القرآن الكريم ، أو نبأ الرسول ، في الأحاديث ، على أنها من خصوصياته التي لم يلزم بها أمّة الإسلام ..

● كذلك ميز المنهاج الإسلامي الوسطى - في التعامل مع السنّة النبوية - في فعل رسول الله ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وتركه ، بين العبادات الشوائب .. وبين المعاملات المتغيرة .. فال الأولى الاقتداء فيها والتأسى هو تعبد وعبادة .. والثانية لا ثبات فيها للوسائل ولا قداسة فيها للآليات ، وإنما الدين فيها هو تحقيق المقاصد التي تتغير المصالح الشرعية المعتبرة للعباد ..

● وميز هذا المنهاج الوسطى كذلك ، فيما تركه رسول الله ، صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بين ما تركه لأنّه منهي عنه دينا .. وبين ما تركه لعدم ظهور ما يقتضيه في عصره .. فباب الفعل لهذا المتروك مفتوح عندما تطرأ - مع العصور المتلاحقة - مقتضيات الفعل لهذه المتروكات ..

\* \* \*

تلك معالم ونماذج - مجرد معالم ونماذج - للمنهج الوسطى في التعامل مع السنّة النبوية .. وهو المنهاج الذي ساد طوال عصور الاجتهاد الإسلامي ، والتي دونت فيها السنّة ، وقامت فيها علومها ، قسمة بارزة في علوم الحضارة الإسلامية .

وكذلك صنع المنهاج الإسلامي الوسطى في التعامل مع «البدعة» ..

فالبدعة ، التي هي ضلاله ، والتى هي في النار ، هي ما خالفت كتاباً أو سنة صحيحة أو أثراً تلقته الأمة بالقبول ، أو إجماعاً مثل ويمثل سلطة الأمة في التشريع ..

أما المحدثات من الأمور ، والإدعاءات التي يبدعها الناس عبر الزمان والمكان ، خارج نطاق ثوابت الدين وعقائده وعباداته وكليات معاملاته ومنظومة قيمه ، فإن معيار القبول فيها أو الرفض لها هو موقع المقاصد التي تتحققها من الحلال والحرام في الدين ، وعلاقة هذه المقاصد بالمصالح الشرعية المعتبرة للعباد .. ولذلك ، فإن هذه البدع والإدعاءات المحدثة تأخذ الأحكام الشرعية الخمسة .. فقد تكون واجبة .. وقد تكون مندوبة .. وقد تكون مكروهة .. وقد تكون محرمة .. وقد تكون مباحة .. وذلك وفق موقعها من تحقيق المقاصد الشرعية والمشروعة ، وليس وفق حدوثها قدئها أو عدم حدوثها .. بل لقد استقر هذا المنهاج الوسطى الإسلامي - في التعامل مع البدعة - على أن الإفتاء الفردي بما يخالف رأي جمهور العلماء ليس من البدعة المذمومة دينيا .. ذلك أن الموازنة هنا ليست بين بيعة وسنة ، وإنما هي بين رأي مرجوح - هو الإفتاء الفردي الجديد - وبين رأي راجح - هو إفتاء جمهور العلماء - فكل اجتهاد في الإفتاء - فردياً كان أو للجمهور - هو استنباط حكم «ظني» ، أما البدعة الضلاله فهي الإحداث في الثابت الديني ، لأنها تُحل «الظنى الإنساني والنسبي البشري» محل «المطلق الديني» ، الذي هو من وضع العليم الخبير ..

\* \* \*

لكن الفكر الإسلامي - في عصر التراجع الحضاري .. وفي عصر التغريب - أي في حقب «التقليد الموروث» و«التقليد الحداثي» - قد ابتلى بالانحراف عن هذا المنهاج الوسطى في التعامل مع السنة النبوية ..

فوجدنا من أهل «التقليد الموروث» من لا يميزون بين ألوان المأثورات والمرويات ، فيلزمون أنفسهم ويلزمون الأمة بما لا يلزم - وهذا هو غلو الإفراط - ووجدنا من أهل «التقليد الحداثي» من يهدرؤن كل المرويات ، بدعوى «التاريخية» أو «التاريخانية» ، التي تربط كل النصوص بالزمن الذي ظهرت فيه ، والملابس التي صاحبت نشأتها الأولى ، وذلك دون تمييز في هذه النصوص بين أقسامها التي تحدث عنها علماء الأصول ، حتى لقد جعلوها «علماء» أفردوا له المؤلفات<sup>(١)</sup> ..

إنهم لم يميزوا بين السنة التي هي دين ثابت ، لتعلقها بالبلاغ القرآني والثوابت الدينية - في العقائد والعبادات والقيم وثوابت المعاملات وفلسفات التشريع ومبادئه وقواعده - وبين السنة التي هي فقه الواقع النبوي المتغير ، ومثلها سنن العادات والخصوصيات النبوية .. فمثّلوا غلو التفريط ، كما مثل أهل «التقليد الموروث» غلو الإفراط .. وإذا كان الله ، سبحانه وتعالى ، قد أراد لهذه الأمة أن تكون وسطاً .. عدلاً .. متوازناً .. وذلك حتى تحقق الشهود الحضاري على حضارات الغلو - غلو الإفراط والتفريط - ..

(١) من نفائس الكتب الأصولية في هذا الفن كتاب القرافي ، شهاب الدين أحمد بن إدريس (الإحکام في التمييز ما بين الفتاوی والأحكام ونصرفات القاضی والإمام) تحقيق : الشيخ عبد الفتاح أبو عده . طبعة حلب سنة ١٩٦٧ م . وكتاب ولی الله الدهلوی (حجۃ الله البالغة) طبعة القاهرة سنة ١٣٥٢ھ .

وإذا كانت حياتنا الفكرية الحديثة والمعاصرة ، تعانى من الاستقطاب الحاد بين الغلاة ، فى الموقف من السنة النبوية الشريفة ، فإن الحاجة تتزايد إلى تقديم الفكر «الأصولى - الوسطى» ، الذى يقدم للباحثين والقراء معالم المناهج الوسطى فى التعامل مع سنة رسول الله ﷺ ، وذلك تعميقاً لمعالم هذا المنهج الوسطى ، الذى هو وحده منظار الرؤية الإسلامية الخالصة .. وأيضاً لدعوة الغلاة - من أهل «التقليد الموروث» .. و«التقليد الحداثي» - إلى كلمة سواء ..

ولذلك .. ووفاء بهذا الواجب الفكري ، نقدم إلى الباحثين والقراء هذه الدراسة «الأصولية - المحدثة» - عن (السنة والبدعة) - لواحد من أعلام الأصولية الإسلامية المحدثة .. الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين (١٢٩٣ - ١٣٧٧ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٨ م) (١) ..

سائلين المولى ، سبحانه وتعالى ، أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم .. وأن يجعلها فى ميزان حسانات هذا الإمام العظيم .. إنه أعظم مسئول .. وأكرم مجيب ..

دكتور

محمد عمارة

---

(١) انظر ترجمتنا للشيخ محمد الخضر حسين ، فى كتابنا (معركة الإسلام وأصول الحكم) طبعة دار الشروق . القاهرة سنة ١٩٩٨ م . وكتابنا (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) - سلسلة «في التأثير الإسلامي» - ص ٩ - ٢٣ طبعة توپصة مصر - القاهرة سنة ١٩٩٨ م .

## تصهيد

شرع الله الدين الخنيف في سماحة وحكمة ، فلم يأت بما فيه حرج ، أو بما ينبو العقل السليم عن قبوله ، وكانت هذه السماحة والحكمة من أسباب انتشاره في المعمورة وظهوره على الأديان كلها في أعوام معدودة ، وحيث تلى بعض الشرائع من قبل فدخلها فساد التبديل والتأويل - اشتدت عنایة الشارع بتحذير الناس من أن يحدثوا في الإسلام ما ليس منه . قال عليه السلام : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وقال «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلاله»<sup>(١)</sup> .

ولم يخلص الدين مع هذه الزواجر من طوائف يلصقون به ما ينافي سماحته ، أو ما يشوّه وجه حكمته . وقد كثرت هذه البدع حتى حجبت جانباً من محاسنه ، وكان لها أثر في تنكر بعض القلوب لهدايتها ، وهذا ما حمل كثيراً من أهل العلم على أن يتناولوا البدع بالتأليف خاصة ، كما فعل أبو بكر الطرطوشى<sup>(٢)</sup> وأبو إسحاق الشاطئي<sup>(٣)</sup> وغيرهما من رجال الدين .

(١) صحيح الإمام البخاري .

(٢) أبو بكر الطرطوشى ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى ، الأندلسى (٤٥١ - ٥٢٠ هـ ١١٢٦ - ١٠٥٩) من فقهاء المالكية بالأندلس ، ومن الحفاظ ، والأدباء .. سكن الإسكندرية ، بعد رحلة إلى الشرق ، وتولى التدريس فيها إلى أن توفى بها .

(٣) الشاطئي ، إبراهيم بن موسى بن محمد التخمي (٧٩٠ - ١٣٨٨ هـ) من أبرز علماء الأصول ، ومن الحفاظ .. وبعد كتابه (المواقف) رأى في فن مقاصد الشريعة الإسلامية .

وللبحث في البدع مجال واسع ، ونحن نلم في هذا المقال بالقدر الكافي للاجابة رسائل اقترح أصحابها على المجلة<sup>(١)</sup> بيان ما هو سنة وما هو بدعة ، وفي الفرق بين السنة والبدعة ، وتمييز البدعى من السنى إصلاح كبير .

---

(١) المجلة - التي يشير إليها المؤلف - هي الهداية الإسلامية - التي أصدرها الشيخ الخضراء بالقاهرة ، في عشرينيات القرن العشرين - لسان حال للجمعية التي أسسها ، بنفس الإسم - وكتابه (رسائل الإصلاح) بأجرائه الثلاثة - عبارة عن المقالات التي نشرها في هذه المجلة .

إلى القارئ العزيز ..  
لـى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطبيعة مع التراث ..  
فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع لل المسلم تنويراً إسلامياً متميزاً .  
ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د. محمد عمارة ● المستشار طارق البشري
- د. حسن الشافعى ● د. محمد سليم العوا
- ا. فهمي هودى ● د. جمال الدين عطية
- د. سيد دسوقي ● د. كمال الدين إمام
- د. عبد الوهاب المسيري ● د. شريف عبد العظيم
- د. عادل حسين ● د. صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين المسلمين ..  
إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر